

خالقهم ورازقهم . قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا عمران - يعني ابن زائدة بن شيط ابه عن أبي خالد - هو الوالي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - يعني قال الله تعالى - «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملاً صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك» ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقد روى الامام احمد عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل : سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً أو يبني بناء ، قال أبو معاوية : يصلح شيئاً ، فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال «لا تياسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمراً ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه» . وقد ورد في بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى : ابن آدم خلقتك لعبادي فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبي تجدي فان وحدتي وجدتك كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء ، انا احب إليك من كل شيء . وقوله تعالى : ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً﴾ أي نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ أي فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ يعني يوم القيامة . آخر تفسير سورة الذاريات والله الحمد والمنة .

## سُورَةُ الطُّورِ

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ، أخرجاه من طريق مالك . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت : شكوت إلى رسول الله أني أشتكى فقال «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت ورسول الله يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَيْحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه ، وأنه لا دافع عنهم ، فالطور هو الجبل الذي يكون فيها أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى ، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل ﴿وكتاب مسطور﴾ قبل : هو اللوح المحفوظ ، وقيل : الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال ﴿في رق منشور﴾ والبيت المعمور ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة «ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هم يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني فيه ويطوفون به كما

يطوف أهل الأرض بكمبتهم ، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزء من جنس العمل ، وهو بحيال الكعبة ، وفي كل سماء بيت يتعد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا روح بن جناح عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة ، يخرج عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يؤتوا البيت المعمور ، فيصلون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، ويولي عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة ، » هذا حديث غريب جداً ، تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، قال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري . وقال ابن جرير : حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو الأحوص عن سهاك بن حرب عن خالد بن عرعة ، أن رجلاً قال لعلي : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً ، وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سهاك ، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب عن طلق بن غنم ، عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال : سأل ابن الكواء علياً عن البيت المعمور قال : مسجد في السماء يقال له الضراح ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً . ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بنتمثله وقال العوفي عن ابن عباس : هو بيت حذاء العرش تتمره الملائكة ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه . وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف .

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه « هل تدرؤن ما البيت المعمور ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة إبليس ، فالله أعلم . وقوله تعالى : ﴿ والسقف المرفوع ﴾ قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سهاك عن خالد بن عرعة عن علي بن جرير : ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعني السماء . قال سفيان ثم تلا ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ﴾ وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جرير وابن زيد واختاره ابن جرير : وقال الربيع بن أنس هو العرش ، يعني أنه سقف لجميع المخلوقات ، وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور .

وقوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال الربيع بن أنس : هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر ، الذي أنشأ به الأجساد في قبورها يوم معادها ، وقال الجمهور : هو هذا البحر ، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم : المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ أي أضرمت فتصير ناراً تتأجج محطمة بأهل الموقف . ورواه سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب . وروي عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عمير وغيرهم . وقال العلاء بن بندر : إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة . كذا رواه عنه ابن أبي حاتم . وعن سعيد بن جبير ﴿ والبحر المسجور ﴾ يعني المرسل ، وقال قتادة : المسجور المملوء ، واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقداً فهو مملوء . وقيل : المراد به الفارغ . قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال الفارغ : خرجت أمة تستسفي فقالت : فرجعت فقالت : إن الخوض مسجور يعني فارغاً . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء . وقيل : المراد بالمسجور المنوع المكفوف عن الأرض لثلاث يغمرها فيغرق أهلها قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به يقول السدي وغيره ، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، رحمه الله ، في مسنده فإنه قال : حدثنا يزيد ، حدثنا العوام ، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال : لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال : حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال « ليس من ليلة إلا البحر يشرف فيها ثلاث مرات ، يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم ، فيكفه الله عز وجل » .

وقال الحفاظ أبو بكر الاسماعيلي : حدثنا الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه عن يزيد ، وهو ابن هارون ، عن العوام بن حوشب ، حدثني شيخ مرابط قال : خرجت ليلة لمحرمي لم يخرج أحد من الحرس غربي ، فأتيت الميناء فصعدت

فجعل يخيل إلي أن البحر يشرف بحادي رؤوس الجبال ، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ ، فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم ، فيكفه الله عز وجل» فيه رجل مبهم لم يسم .

وقوله تعالى : ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى ﴿ما له من دافع﴾ أي ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك . قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبيدي قال : خرج عمر يعس في المدينة ذات ليلة ، فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿والطور﴾ حتى إذا بلغ - إن عذاب ربك لواقع \* ما له من دافع﴾ قال : قسم ورب الكعبة حق ، فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله ، فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه وقال الامام أبو عبيد في فضائل القرآن : حدثنا محمد بن صالح ، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن أن عمر قرأ ﴿إن عذاب ربك لواقع \* ما له من دافع﴾ فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوماً . وقوله تعالى : ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكاً . وعن ابن عباس : هو تشققها . وقال مجاهد : تدور دوراً وقال الضحاك : استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض . وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة . قال : وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال :

كان مشيتها من بيت جسارتها  
مور السحابة لا ريث ولا عجل  
وتسير الجبال سيراً  
أي تذهب فتصير هباء منبثاً وتنسف نفسها ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾ أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ونجاً ﴿يوم يدعون﴾ أي يدفعون ويساقون ﴿إلى نار جهنم دعا﴾ وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري : يدفعون فيها دفعا ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي تقول لهم الزبانية ذلك تقرعاً وتوبيخاً ﴿أفسح هذا أم أتم لا تبصرون﴾ أصلوها أي ادخلوها دخول من نغمره من جميع جهاته ﴿فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم﴾ أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تبصروا لا تحيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ﴿وإنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي ولا يظلم الله أحداً بل يجازي كلا بعمله .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِمْ بِمَا آتَاهُم رِيبُهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مَتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ وذلك بضد ما أولئك فيه العذاب والنكال ﴿فاكِهِمْ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مأكَل ومشارب وملابس ومسكن ومراكب وغير ذلك ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار ، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدثها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ كقوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ أي هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً . وقوله تعالى : ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ قال الثوري عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر في الحجال ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليان ، حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول : إن رسول الله قال «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله ، يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه» وحدثنا أبي ، أخبرنا هذبة بن خالد عن سليبان بن المغيرة عن ثابت قال : بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه ، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم ، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك ، فيقلن قد أن لك أن تجعل لنا منك نصيباً ، ومعنى ﴿مصفوفة﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله ﴿على سرر متقابلين﴾ ووزوجناهم بحور عين﴾ أي وجعلنا لهم قريبات صالحات وزوجات حسناً من الحور العين ، وقال مجاهد ﴿وزوجناهم﴾ أنكحناهم بحور عين ، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿١١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ مَّيَّاشْتَهُونَ ﴿١٢﴾ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿١٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلَمَانٌ لَهُمْ كَأْسُهُمْ لَوْلَوْ مَكُونٌ ﴿١٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿١٦﴾ فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه ، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة ، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع النقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزله للتساوي بينه وبين ذلك ، ولهذا قال ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ مَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به ، وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مرة به ، ورواه البزار عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق ، عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعاً ، فذكره ثم قال وقد رواه الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفاً ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروني ، أخبرني محمد بن سعيد ، أخبرني شيبان ، أخبرني ليث عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال : هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان ، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بأبائهم ، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئاً . وقال الحافظ الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ، حدثنا شريك عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، أظنه عن النبي ﷺ قال «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده ، فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك ، فيقول : يارب ند عملت لي وهم فيؤمر بالحاقهم به» وقرأ ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ الآية . وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول : والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقتهم بأبائهم إلى الجنة ، وأولادهم الصغار تلحق بهم ، وهذا راجع إلى التفسير الأول ، فإن ذلك مفسر أصرح من هذا ، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبيرة وإبراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد ، وهو اختيار ابن جرير وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال : سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ «هما في النار» فلما رأى الكراهية في وجهها قال «لو رأيت مكانها لأبغضتها» قالت : يا رسول الله فولدي منك ؟ قال «في الجنة» قال : ثم قال رسول الله ﷺ «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ الآية ، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يارب أني لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك» إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك ، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى : ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتين بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس ، سواء كان أباً أو ابناً كما قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابُ اليمينِ فِي جناتٍ يتساءلون عن المجرمين﴾ وقوله ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ مَّيَّاشْتَهُونَ﴾ أي وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى . وقوله ﴿يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتعاطون فيها كأساً أي من الخمر ، قاله الضحاك ﴿لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ أي هذيان ولا إثم أي فحش كما يتكلم به الشربة من

أهل الدنيا ، قال ابن عباس : اللغو الباطل والتأثيم الكذب ، وقال مجاهد : لا يستبون ولا يؤثمون . وقال قتادة : كان ذلك في الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، كما تقدم فنفى عنها صدادع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية ، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هديانا وفحشا ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ونحوها فقال ﴿بيضاء لذة للشاربين \* لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ وقال ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ وقال ههنا ﴿يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ وقوله تعالى : ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملبسهم ، كما قال تعالى : ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون \* بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾ وقوله تعالى : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا ، وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم ﴿قالوا إنا كنا في أهلنا مشفقين﴾ أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ أي نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ .

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن دينار ، حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الاخون ، فيجيء سرير هذا حتى يجاذي سرير هذا فيتحدثان ، فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا» ثم قال البزار : لا نعرفه يروى إلا بهذا الاسناد . قلت : وسعيد بن دينار الدمشقي ؟ قال أبو حاتم : هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح ، وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فمن الله ووقانا عذاب السموم \* إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾ فقالت : اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت نبر الرحيم . قيل للأعمش في الصلاة ؟ قال : نعم .

فَذَكَرْنَا مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢١﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رِبِّ

الْمُنُونِ ﴿٢٢﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ ﴿٢٣﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ

بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده ، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ أي لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش ، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿ولا مجنون﴾ وهو الذي يتخطه الشيطان من المس . ثم قال تعالى منكرأ عليهم في قولهم في الرسول ﷺ ﴿أم يقولون شاعر ترتبص به ريب المنون ؟﴾ أي قوارع الدهر ، والمنون موت ، يقولون تنتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه ، قال الله تعالى : ﴿قل تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ﴾ أي انتظروا فاني منتظر معكم ، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة . قال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم : احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما كان هو كأحدهم ، فانزل الله تعالى ذلك من قولهم ﴿أم يقولون شاعر ترتبص به ريب المنون ؟﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ أي عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أم هم قوم طاغون﴾ أي ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون ، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك . وقوله تعالى : ﴿أم يقولون نقوله ؟﴾ أي اختلقه واقتراه من عند نفسه يعنون القرآن ، قال الله تعالى : ﴿بل لا يؤمنون﴾ أي كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ أي إن كانوا صادقين في قولهم تقوله واقتراه ، فليأتوا بمثله ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن ، فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل

الأرض من الجن والانس ماجاءوا بمثله ، ولا بعشر سور من مثله ، ولا بسورة من مثله .

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمْ الْمَصْيطِرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ سُمْرٌ لَسْتَعْمُونَ فِيهِ فَلَئِبَاتٌ مُسْتَعْمَعُهُمْ يَسْطَلْنَ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ تَنْتَهُرُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ؟﴾ أي أوجدوا من غير سوجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ، أي لا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، قال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان قال : حدثني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ؟﴾ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون ؟ أم عندهم خزائن رحمة ربك ؟ أم هم المصيرون ؟ كاد قلبي أن يطير ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به ، وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الاسارى ، وكان إذ ذاك مشركاً ، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ؟﴾ أي أهما خلقوا السموات والأرض ؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله ، وهم يعلمون انه الخالق وحده لا شريك له ، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمْ الْمَصْيطِرُونَ ؟﴾ أي هم يتصرفون في الملك ويبيدهم مفاتيح الخزائن ﴿أَمْ هُمْ الْمَصْيطِرُونَ ؟﴾ أي المحاسبون للخلائق ، ليس الأمر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد .

ونوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يَسْتَعْمُونَ فِيهِ ؟﴾ أي مرقاة إلى الملأ الأعلى ﴿فَلَئِبَاتٌ مُسْتَعْمَعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ؟﴾ أي فليآت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال ، أي وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل ، ثم قال منكرأ عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إنانا ، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث ، بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ؟﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ؟﴾ أي أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله ، أي لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ؟﴾ أي فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويتقلهم ويشق عليهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ؟﴾ أي ليس الأمر كذلك ، فانه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب الا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا . فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ؟﴾ يقول تعالى : أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الذين غرور الناس وكيد الرسول واصحابه ، فكيدهم انما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ؟﴾ وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الاصنام والأنداد مع الله ، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ؟﴾ .

وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٥﴾ فَالَّذِينَ هُمْ حَتَّى يَنْفُتُوا

يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٦﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ؟﴾ أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ، ولما أيقنوا بل يقولون : هذا سحاب مركوم ، أي متراكم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من

النساء فظفوا فيه يمرجون \* لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون \* . وقال الله تعالى ﴿فذرهم﴾ أي دعهم يا محمد ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يصعقون﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يوم لا يفني عنهم كيدهم شيئاً﴾ أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا ، لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً ﴿ولا هم ينصرون﴾ . ثم قال تعالى : ﴿وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك﴾ أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي نعتهم في الدنيا ونبئتهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون ويتوبون فلا يفهمون ما يراد بهم ، بل إذا جلى عنهم بما كانوا فيه ، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث «إن المناق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير ، لا يدري فيها عقلوه ولا فيها أرسلوه» وفي الأثر الإلهي : كم أعصيك ولا تعاقبي ؟ قال الله تعالى : يا عبدي كم أعاقبك وأنت لا تدري ؟ وقوله تعالى : ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ أي اصبر على أذاهم ولا تبألمهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس . وقوله تعالى : ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ قال الضحاك : أي إلى الصلاة . سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

وقد روي مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول : هذا في ابتداء الصلاة ، ورواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك . وقال أبو الجوزاء ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ أي من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا عمير بن هانئ ، حدثني جنادة بن أبي أمية . حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال «من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال ، رب اغفر لي - أو قال ثم دعا - استجيب له فان عزم ، فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته» وأخرجه البخاري في صحيحه ، وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به . وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ قال من كل مجلس وقال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي ، حدثنا محمد بن شعيب ، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً ، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له ، وقد قال عبد الرزاق في جامعه : أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري ، عن أبي عثمان الفقير ، أن جبريل علم النبي ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . قال معمر : وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل ، وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوي بعضها بعضاً بذلك ، فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال «من جلس في مجلس فكثر فيه لغظه ، فقال قيل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» رواه الترمذي ، وهذا لفظه والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال استاده على شرط مسلم ، إلا أن البخاري علله ، قلت : علله الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم ، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج ، على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه ، ورواه أبو داود ، واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن هاشم ، عن أبي العالية عن أبي برزة الأسلمي ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره : إذا أراد أن يقوم من المجلس «سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك» . فقال رجل : يا رسول الله ، انك لتقول قولاً ما كنت تقول في مضى ، قال «كفارة لما يكون في المجلس» وقد روي مرسلًا عن أبي العالية ، فإله أعلم .

وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ مثله سواء ، وروي مرسلًا أيضاً فإله أعلم ، وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال «كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر ، إلا ختم له بهن كما يختمك بالحاتم : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك» وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين

عائشة وصححه ، ومن رواية جبير بن مطعم ، ورواه أبو بكر الإساعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ ، وقد أفردت لذلك جزءاً على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلمه ، وما يتعلق بها والله الحمد والمنة .  
 وقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي اذكره وإعبده بالتلاوة والصلاة في الليل ، كما قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وإدبار النجوم ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس ، أنها الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر ، فإنها مشروعاتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيوب . وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تدعوها وإن طردتكم الخيل » يعني ركعتي الفجر ، رواه أبو داود . ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب أحمد القول بوجودها ، وهو ضعيف لحديث « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال : هل علي غيرها قال « لا إلا أن تطوع » . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر ، وفي لفظ لمسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .  
 آخر تفسير سورة الطور والله الحمد والمنة .

## سُورَةُ النُّجُومِ

٥٣ نَبِيَّهُ ﷺ آيَاتُهَا ٦٣

قال البخاري : حدثنا نصر بن علي ، أخبرني أبو أحمد - يعني الزبيدي - حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة « والنجم » قال : فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه ، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف ، وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به ، وقوله في الممتنع أنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل ، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ؛ رواه ابن أبي حاتم : واختلف المفسرون في معنى قوله ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ فقال ابن أبي نجيع عن مجاهد : يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر ، وكذا روي عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير ، وزعم السدي أنها الزهرة ، وقال الضحاك ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ إذا رمي به الشياطين وهذا القول له اتجاه . وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ يعني القرآن إذا نزل ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ \* وإنه لقسم لو تعلمون عظيم \* إنه لقرآن كريم \* في كتاب مكنون \* لا يمسه إلا المطهرون \* تنزيل من رب العالمين ﴿ وقوله تعالى : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوي هو العالم بالحق ، العادل عنه قصداً إلى غيره ، فزه الله رسوله وشرعه ، من مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود . وهي علم الشيء وكتابه ، والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ أي إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا جرير بن عثان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين - أو مثل أحد الحيين - ربيعة ومضر » فقال رجل : يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر ؟ قال « إنما أقول ما أقول » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الأحنس ، أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك